لهم الخصائص ذاتها . ويتحدّث السّياق عن أمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السّلام سجود تحيّةٍ وتعظيمٍ ففعلوا إلاّ إبليس الّذى امتنع عن السّجود وكان عذره قبيحًا كفعله . إنّ عذره الكبر والحسد ، إذ كيف يسجد الفاضل فى زعمه المخلوق من النّار السّامية للمفضول المخلوق من الطّين ! ونسي اللّعين أنّ الله سبحانه وتعالى قد نفخ فى ذلك الطّين من روحه . وفى مقابل تكبّره وحسده يؤمر بأن يهبط من علیائه وأن يخرج فإنّه من الصّاغرين . ويطلب اللّعين من الحقّ جلّ وعلا إمهاله إلى يوم البعث حينما ينفخ إسرافيل فى الصّور للمرّة الثّانية كي يضمن الخلود فيمهله الله تعالى إلى يوم الوقت المعلوم الّذى يموت فيه من شاء الله تعالى وذلك حينما ينفخ إسرافيل فى الصّور للمرّة الأولى . ويتكفّل اللّعين بإغواء آدم عليه السّلام وزوجه حوّاء عليها السّلآم وذرّيّتهما بأن يقعد لهم صراطه جلّ وعلا المستقيم فيصرفهم عنه أو يخرجهم منه ، وبأن يأتيهم من كلّ المنافذ إن هم لم يصلوا إليه . ولا يستطيع اللّعين أن يسدّ المنفذ العلويّ الّذى تأتى منه رحمات الله تعالى فعلى عباد الله تعالى أن يشكروا لله تعالى نعمه وآلاءه وأن يعصوا الشّيطان . ويؤمر اللّعين بأن يخرج مذمومًا مطرودًا هذه المرّة ، ويهدّد بأنّ مصيره ومن اتّبعه النّار وبئس القرار . ويطمئن الله تعالى آدم عليه السّلام حينما يناديه باسمه ويأمره بأن يسكن هو وزوجه الجنّة ، وأن يأكلا من حيث شاءا وينهاهما جلّ وعلا عن مجرّد الاقتراب من شجرةٍ بعينها وإلاّ كانا من الظّالمين . وكي يزيّن اللّعين لهما الأكل من الشّجرة وإتيان ما نهاهما الله تعالى عنه يوسوس لهما ، كي يبدي لهما ما سُتِر عنهما من عوراتهما ، ويقول لهما بأنّ الله تعالى إنّما نهاهما عن الأكل من الشّجرة كيلا يكونا ملكين وكيلا يكونا من الخالدين ، ويقسم بالله تعالى بأنّه لهما لمن النّاصحين . ويدلّيهما الشّيطان بغروره وينزلهما من علیائهما بخداعه : ﴿ فلمّا ذاقا الشّجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة وناداهما ربّهما ألم أنهكما عن تلكما الشّجرة وأقل لكما إنّ الشّيطان لكما عدوٌّ مبين ﴾ لقد تبيّن

سرّ انهيار الحضارات فى القول عن اللّعين : ﴿ ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما ﴾ كما تبيّن سرّ بناء الحضارات وبقائها فى القول عن آدم وحوّاء عليهما السّلام : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة ﴾ ويتلقّى آدم وحوّاء عليهما السّلام الكلمات من ربّهما جلّ وعلا الّذى يتوب عليهما : ﴿ قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ ويأمرهما ربّهما جلّ وعلا بأن يهبطا إلى الأرض وأن يهبط اللّعين : ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوّ ﴾ ويبيّن السّياق أنّ لهم جميعًا مستقرًّا ومتاعًا إلى حينٍ فى الأرض الّتى فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون .

وتحت عنوان : « توجيهاتٌ قرآنيّةٌ لبنى آدم » درسنا الآيات (٢٦ ــ ٣٦) وآيات هذا القسم يجيء فيها وحدها القول : ﴿ يا بنى آدم ﴾ أربع مرّات من بين خمس مرّاتٍ فى القرآن الكريم كلّه ، ويشتمل القسم على آياتٍ فى الحكمة غير قابلةٍ للنّسخ فى سائر الشّرائع . ونستطيع أن نتبيّن فى آيات القسم أساس قيام الحضارات وبقائها وهو الطّهر والعفّة ، وسبب دمار الحضارات وانهيارها وهو الفجور والعهر . إنّ السّياق يشير إلى أنّ ربّ العزّة قد أنزل على بنى آدم لباسًا يوارى سوءاتهم وهو ثوب الجلال ، وأنزل ريشًا يتزيّنون به وهو ثوب الجمال . وهذا الثّوب من جنس الزّينة الّتى أمر السّياق بنى آدم أن يأخذوها عند كلّ مسجد، وخيرٌ من ثوبي الجلال والجمال ثوب الكمال وهو لباس التّقوى . إنّ ثياب الجلال والجمال من آيات الله تعالى فعلى بنى آدم أن يسلموا لله ربّ العالمين ، وأن يأخذوا زينتهم عند كلّ مسجد ، وأن يتحلّوا بلباس التّقوى . وينهى السّياق بنى آدم أن يفتنهم عن دينهم الشيطان الرّجيم ويصرفهم عن الجنّة الّتى يدعوهم الله تعالى إليها وينحرف إلى النّار كما أخرج أبويهم من الجنّة ينزع عنهما فى عنفٍ وقِحَة لباسهما ليريهما سوءاتهما . إنّ وسيلة اللّعين لصرف بنى آدم عن الصّراط المستقيم وإدخالهم نار الجحيم إيقاع كلٍّ من الذّكر والأنثى فى حمأة الرّذيلة ومستنقع الزّنى عن طريق

نزع لباس كلٍّ منهما للآخر فى الحرام . وحينما نسمع عن مستعمرات العراة وما فى حكمها لا نملك إلاّ أن نتلو فى خشوعٍ الآية الكريمة العشرين من سورة سبأ : ﴿ ولقد صدّق عليهم إبليسُ ظنّه فاتّبعوه إلاّ فريقًا من المؤمنين ﴾ إنّ الشّيطان وقبيله يرون بنى آدم من حيث لا يرونهم فليس نزع اللّباس إلاّ من أجل الهبوط ببنى آدم إلى درك الأنعام . وإنّما يستجيب للّعين أولياؤه أمّا المؤمنون فإنّ وليّهم الله تعالى الذّى يتولّى الصّالحين . ومِنَ الّذين فتنهم الشّيطان مشركو العرب الّذين يطوفون بالبيت الحرام عراةً ويعلّلون ذلك بأنّهم وجدوا آباءهم يفعلون تلك الفواحش ويزعمون أنّ الله تعالى أمرهم بها فيكذبهم السّياق ويضع البديل الصّحيح فعليهم أن يقسطوا ويفردوه جلّ وعلا بالعبادة الّتى يرمز لها بالصّلاة فى كلّ مسجد ، وأن يخلصوا العبادة لله تعالى ، وأن يعملوا ليوم القيامة . إنّ مِنْ بنى آدم من آمن وإنّ منهم الّذين ﴿ اتّخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنّهم مهتدون ﴾ ويأمر السّياق بنى آدم بأن يأخذوا زينتهم عند كلّ مسجدٍ وبأن يأكلوا ويشربوا . وإذا كان النّهي صريحًا عن الإسراف بشأن الأكل والشّرب فإنه مفهومٌ ضمنًا بشأن أخذ الزّينة ، وقد جعل الله تعالى هذه الأمّة وسطًا فى كلّ أمورها وتأكيدًا لهذه الوسطيّة يسأل السّياق فى إنكار : ﴿ قل من حرّم زينة الله الّتى أخرج لعباده والطّيّبات من الرّزق ﴾ ويجيب على الفور : ﴿ قل هي للّذين آمنوا فى الحياة الدّنيا خالصةً يوم القيامة ﴾ إنّ زينة الله تعالى والطّيّبات من الرّزق هي للّذين آمنوا على جهة الاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ، أمّا فى يوم القيامة فإنّها خالصةٌ لهم وحدهم. ويؤكّد السّياق معنى الوسطيّة بحصر الكلّيّات الخمس المحرّمة الّتى تندرج تحتها كلّ الخبائث وأنواع الأذى والقذى . إنّ على كلّ شخصٍ وكلّ أمّة أن تعلم أنّ لها أجلاً محدّدًا فليعمل كلٌّ فى يومه لغده فى ضوء آيات الله تعالى الّتى تبيّنها سنّة المصطفى ﷺ . إنّ المؤمنين المتّقين الّذين يعملون الصّالحات لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، وإنّ الكافرين المكذّبين المستكبرين هم الخالدون فى نار الجحيم .

وتحت عنوان : « عذاب الظّالمين المكذّبين وثواب المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات ﴾ درسنا الآيات (٣٧ ـ ٤٣) إنّ السّياق يقرّر أنّه لا أحد أظلم ممّن افترى على الله تعالى كذبًا بنسبة الشّريك والصّاحبة والولد له جلّ وعلا ، أو ممّن كذّب بآيات الله تعالى . إنّ أولئك سينالهم ممّا كتب الله تعالى عليهم فى الحياة الأولى من شقاء . حتّى إذا جاءتهم رسل الله تعالى من الملائكة بقبض أرواحهم قالت لهم الملائكة : ﴿ أينما كنتم تدعون من دون الله ؟ . قالوا ضلّوا عنّا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين ﴾ ويوم القيامة يقال لهم ادخلوا فى النّار ضمن أممٍ قد مضت من قبلكم من الجنّ والإنس : ﴿ كلّما دخلت أمّةٌ لعنت أختها ﴾ حتّى إذا اجتمعوا فى النّار جميعًا قالت أخراهم لأولاهم يا ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتهم عذابًا مضاعفًا من النّار بسبب كفرهم وإضلالنا . قال الله تعالى : لكلٍّ منكم عذابٌ مضاعفٌ بسبب كفركم وإضلالكم غيركم وتعطيلكم نعم الله تعالى عليكم . وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضلٍ حينما لم تتّعظوا بنا ولم تتّبعوا الرّسل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون . وتأكيدًا لعدم دخول القوم الجنّة يقرّر السّياق أنّ الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى واستكبروا عنها لا تفتّح لأرواحهم أبواب السّماء ولا لدعائهم ولا لأعمالهم الصّالحة لأنّهم مشركون ، ولا يدخلون الجنّة حتّى يدخل حبل السّفينة الغليظ فى ثقب الإبرة . إنّ فى مثل تلك الطّريقة يُجْزَى المجرمون والظّالمون الّذين لهم من نار جهنّم فِراشٌ وغطاء . أمّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات فهم خالدون فى جنّات النّعيم . وفى هذه الجملة المعترضة : ﴿ لا نكلّف نَفْسًا إلاّ وسعها ﴾ تتجلّى رحمة الله تعالى الواسعة فهو جلّ وعلا يكلّف عباده بما يستطيعون . ودليلاً على النّعيم المقيم فى الجنّة ينزع الله تعالى ما فى صدورهم من غِلٍّ وحقدٍ وحسد ، وتجرى من تحتهم الأنهار ويحمدون الله تعالى الّذى هداهم سبله وزادهم هدًى ووفّقهم لاقتفاء سنّة خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين صلّى الله عليهم أجمعين وفى الجنّة ينادي المتّقون أن تلكم الجنّة الّتى أورثكم الله تعالى إيّاها فأخذتم

أماكن الّذين لم يؤمنوا بسبب إيمانكم وعملكم الصّالحات .

وتحت عنوان: « أصحاب الجنّة والنّار والأعراف » درسنا الآيات (٤٤ ـ ٥١) إنّ آيات هذا القسم تشتمل على بعض الحوار الّذى يتمّ يوم القيامة بين هذه الفئات الثّلاث وشعور كلٍّ منهم . إنّ أصحاب الجنّة ينادون أصحاب النّار ويقولون بأنّهم قد وجدوا ما وعدهم الله تعالى من نعيمٍ فى الجنّة حقّا ، فهل وجد أصحاب النّار ما وعدهم ربّهم جلّ وعلا من عذابٍ أليمٍ حقًّا فى النّار وبئس القرار . ويكون الجواب بالإيجاب ، ويؤذّن مؤذّنٌ بين الفريقين ويعلن بأنّ لعنة الله تعالى واقعةٌ على الظّالمين الّذين يصدّون الآخرين عن دين الإسلام ويبغون الطّريق معوجّة وهم بالآخرة كافرون . ويقع بين الفريقين حجابٌ هو سور الأعراف الّذى يفصل بين الجنّة والنّار ويعلوه أقوام استوت حسناتهم وسيّئاتهم فليسوا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وهم يعرفون المؤمنين ببياض وجوههم والكافرين بسواد وجوههم وينادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنّة قائلين : السّلام عليكم والأمن والطّمأنينة . إنّهم لم يدخلوا الجنّة وهم يطمعون فى دخولها بفضل الله تعالى وحده لا شريك له فقد زحزحوا عن النّار بعدل الله تعالى . وإذا صُرِفت أبصار أصحاب الأعراف تلقاء أصحاب النّار ، ربّما بسبب صراخهم وعويلهم لسوء العذاب ، يسألون ربّهم جلّ وعلا ألاّ يجعلهم مع القوم الظّالمين فى النّار . وينادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم فى النّار بسواد وجوههم ويقولون لهم إنّهم لم ينقذهم من عذاب يوم القيامة جمعهم المال الكثير واستكبارهم عن عبادة الله تعالى وتكبّرهم على فقراء المؤمنين إلى الحدّ الّذى يقسمون معه بالله العظيم بأنّ الله تعالى لن ينالهم بأدنى رحمةٍ منه جلّ وعلا . إنّ فقراء المؤمنين وضعفاءهم قد قيل لهم يوم القيامة ادخلوا الجنّة فلا خوف عليكم فيما تستقبلون ولا أنتم تحزنون على ما تركتم فى الحياة الدّنيا . وإذا كان أصحاب الأعراف الّذين زحزحوا عن النّار يطمعون فى دخول الجنّة فإنّ أصحاب النّار يطمعون فى بعض ما يفيض لدى أصحاب الجنّة من ماءٍ وطعام . إنّ أصحاب الجنّة

يجيبون بصريح العبارة : ﴿ إنّ الله حرّمهما على الكافرين ﴾ إنّ الكافرين اتّخذوا فى الحياة الدّنيا دينهم لهوًا ولعبًا وغرّتهم الحياة الدّنيا بزخرفها عن الآخرة ، ونسوا يوم القيامة ، وجحدوا بآيات الله تعالى البيّنات . وفى مقابل نسيان الكافرين لقاء يوم القيامة هم يُنْسَوْن فى نار جهنّم ويُتْرَكون .

وتحت عنوان : ﴿ الله تعالى الّذى له الخلق والأمر والمعاد صرّف آيات الكتاب المفصّل فاتّبعوه واشكروا له تفوزوا ﴾ درسنا الآيات (٥٢ ــ ٥٨) بيّنت آخر آيات القسم السّابق أنّ أصحاب النّار قد تُرِكوا فى النّار لأنّهم تركوا العمل ليوم القيامة وكذّبوا آيات الله تعالى . وتبدأ أولى آيات هذا القسم التّالى بالحديث عن كفّار مكّة وهم من أصحاب النّار إن ماتوا كافرين ، وتقرّر أنّ ربّ العزّة قد جاءهم على لسان حبيبه ﷺ بكتابٍ فصّله جلّ وعلا على علمٍ هدًى من الضّلالة ورحمةً للمؤمنين . ويسأل السّياق كفّار مكّة ومن شاكلهم من الكافرين فى إنكار : هل ينتظر أولئك الكافرون إلاّ تأويل غيوب القرآن الكريم وأهمّها يوم القيامة الّذى حينما يأتى يقول منكروه قد جاءت رسل ربّنا بالحقّ فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا عند ربّنا جلّ وعلا ، أو نردّ إلى الحياة الدّنيا فنعمل غير الّذى كنّا نعمل . إنّ القوم قد خسروا أنفسهم فى الأولى والآخرة وضلّ عنهم ما كانوا يفترون بشأن الشّركاء. ولمّا كان الكتاب العزيز فيه من الأسرار ما لا يعلمها إلاّ الّذى يعلم السّرّ فى السّماوات والأرض بنصّ القرآن الكريم فقد كان ثمّة تحوّلٌ فى السّياق إلى ملكوت السّماوات والأرض من زاوية الخلق فينبغى أن يكون لله تعالى ربّ العالمين الأمر والحكم . وهنا يتحوّل السّياق إلى نوعٍ من الأمر وذلك بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وبدعائه جلّ وعلا تضرّعًا وخفيةً وخوفًا وطمعًا ، وإلى نوعٍ من النّهي بعدم الإفساد فى الأرض بعد إصلاحها دينيًّا فى المقام الأوّل . إنّ ثمرة طاعة الله تعالى الارتقاء إلى مرتبة المحسنين القريبة منهم رحمة الله تعالى القريب من عباده المحسنين . وبشأن القول : ﴿ إنّ رحمة الله قريبٌ من المحسنين ﴾ يبدو ــ والله تعالى

أعلم ـ أنّ لفظ قريب لبّى حاجة النّفس الّتى تتوقّع مجىء ما يفيد قرب الرّحمة ، وحينما جاء اللّفظ ﴿ قريب ﴾ وليس قريبة يبدو أنّ اللّفظ راعى معنى لفظ الجلالة: ﴿ الله ﴾ فى المقام الأوّل ، لأنّ قرب الرّحمة مِنْ قرب الله تعالى القريب من عباده المحسنين . وبعد الحديث عن أشرف الكتب السّماويّة وعن خلق السّماوات والأرض وهما أكبر من خلق النّاس يتمّ التّحوّل إلى مظهرٍ من مظاهر رحمة البرّ الرّحيم فى مجال المحسوسات وفى مجال المعنويّات . أمّا مظهر الرّحمة فى المحسوسات فالمطر الّذى يرسل الله تعالى الرّياح مبشّراتٍ به فحاملاتٍ له وبالمطر يحيى الله تعالى الأرض الميتة بالنّبات . فإن كانت الأرض خصبةً كان نباتها طيّبًا وإن كانت غير ذلك كان نباتها مثلها نكدًا . إنّ على النّاس أن يعلموا أنّ الله تعالى القادر على إخراج النّبات من الأرض الميتة قادرٌ على إخراجهم أحياء يوم القيامة للحساب فالجزاء . وأمّا مظهر الرّحمة فى المعنويّات فيستفاد من التّذييل الّذى تختم به آخر آيات القسم : ﴿ والبلد الطّيّب يخرج نباته بإذن ربّه والّذى خبث لا يخرج إلاّ نكدًا . كذلك نصرّف الآيات لقومٍ يشكرون ﴾ إنّ التّذييل منبّه إلى أن البلد الطّيّب بمثابة المؤمن العامل بتعاليم القرآن الكريم وتعاليم خير الأنام ﷺ ، وأنّ البلد الّذى خبث بمثابة الكافر الّذى لا يكون منه إلاّ الخبث والعياذ بالله .

وتحت عنوان : ﴿ نوحٌ عليه السّلام وقومه ﴾ درسنا الآيات (٥٩ ــ ٦٤) وهي بمثابة التّطبيق العمليّ لآخر آيات القسم السّابق الّذى فيه النّصّ على البلد الطّيّب ويراد به المؤمن الّذى ينتفع من الوحي انتفاع النّبتة من التّربة الخصبة ، وعلى البلد الّذى خبث ويراد به الكافر الّذى لا ينتفع من الوحي كما لا تنتفع التّربة ذاتها من المطر الّذى عبّر عنه بالرّحمة من ذى قبل . إنّ الله تعالى أرسل نوحًا عليه السّلام إلى قومه فدعاهم إلى توحيد الله تعالى من ناحية ، وإلى العمل من أجل يوم القيامة من ناحيةٍ أخرى . فكذّبوه ، واتّهموه بالضّلال المبين . لقد بيّن نوحٌ عليه السّلام لقومه أنّه رسولٌ من ربّ العالمين وأنّ من أهمّ واجباته ومقوّماته البلاغ ، والنّصح ،

وما خصّه الله تعالى به من علم لدنّيّ . وكأنّ هذا العلم من الله تعالى يحثّ الدّعاة إلى الله تعالى على التّقوى كي يعلّمهم الله تعالى ، وفى مقابل هذه المقوّمات الثّلاثة للدّاعية ثمّة أمورٌ ثلاثة مطلوبةٌ من المدعوّين . أن يتّعظوا ، وأن يتّقوا الله تعالى ، وأن يحرصوا على الارتقاء إلى مرتبة الإحسان لعلّهم يُرْحَمون . ولمّا أصرّ قوم نوحٍ عليه السّلام على الكفر فلم يؤمن معه عليه الصّلاة والسّلام إلاّ قليل أنجى الله تعالى نوحًا عليه السّلام والمؤمنين ، وأغرق الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى لأنّهم كانوا قومًا عمي القلوب والبصائر .

وتحت عنوان : « هودٌ عليه السّلام وقومه » درسنا الآيات (٦٥ ــ ٧٢) وما أكبر الشّبه بين ما جرى لهودٍ عليه السّلام من قومه وجرى على لسانه فى حواره مع الملأ الّذين كفروا من قومه وبين ما جرى لنوحٍ عليه السّلام من قومه وجرى على لسانه عليه السّلام . ونستطيع أن نتبيّن من هذا القصص القرآنيّ التّثبيت غير المباشر لفؤاد المصطفى ﷺ والمؤمنين القليلى العدد آنذاك والعدّة . إنّ هودًا عليه السّلام الّذى أرسله الله تعالى إلى قومه كما أرسل نوحًا عليه السّلام والنّبيّين من بعده عليهم السّلام يدعو قومه إلى توحيد الله تعالى والارتقاء إلى مرتبة التّقوى . ويتّهمه قومه بالسّفاهة وبالكذب على الله تعالى . وينفى عليه السّلام عن نفسه السّفاهة ويؤكّد أنّه رسولٌ من ربّ العالمين ويبيّن أهمّ أعماله أو مقوّماته وهي البلاغ والنّصح والأمانة . وحينما نضيف مقوّم العلم الّذى جاء على لسان نوحٍ عليه السّلام نستطيع أن نتبيّن أعمال الدّاعية إلى الله تعالى أو مقوّماته ومهماته وهي البلاغ والنّصح والأمانة والعلم . ويدعوهم عليه السّلام ، كما دعا نوحٌ عليه السّلام قومه، إلى التّذكّر والتّقوى والشّكر لله تعالى على نعمه وآلائه وقد جعلهم خلفاء من بعد قوم نوحٍ وزادهم فى الخلق بسطةً طولاً وضخامة . وينكر القوم على هودٍ عليه السّلام دعوته لهم إلى الله تعالى وحده لا شريك له ويثبتون حقًّا أنّهم هم السّفهاء حينما يطلبون دليلاً على صدقه عليه السّلام أن يأتيهم عذاب الله تعالى الّذى

أوعدهم به عليه الصّلاة والسّلام . وتجاه إصرار القوم على مجيء العذاب والاستهزاء والشّرك ينجّى الله تعالى هودًا عليه السّلام والّذين آمنوا معه برحمة من الله تعالى وفضل ويقطع العذاب دابر المكذّبين الكافرين ذلك العذاب الّذى تمثّل فى الرّيح الباردة الّتى استمرّت سبع ليالٍ وثمانية أيّامٍ حتّى لم تترك للمكذّبين الكافرين من نفسٍ واحدةٍ باقية .

وتحت عنوان : « صالحٌ عليه السّلام وقومه » درسنا الآيات (٧٣ ـ ٧٩) لقد أرسل الله تعالى صالحًا عليه السّلام إلى قومه بعد هودٍ عليه السّلام ، وأرسل هودًا عليه السّلام بعد نوحٍ عليه السّلام . وقد نصّت السّورة الكريمة على ذلك . وكلّ المرسلين والنّبيّين جاءوا بالدّعوة إلى الله تعالى وحده لا شريك له . وبناءً على اقتراح ثمود أخرج الله تعالى لهم ناقةً من صخرةٍ عيّنوها آيةً على صدق صالحٍ عليه السّلام الّذى ينهاهم عن مسّها بأدنى سوء . ويذكّرهم عليه السّلام بنعم الله تعالى عليهم ومنها أن جعلهم جلّ وعلا خلفاء من بعد عاد ومكّن لهم فى أرض ثمود سهولها وجبالها ، فعليهم واجب الشّكر لله تعالى وألاّ يفسدوا فى الأرض . وبسبب استقرار الكِبْر فى نفوس الكافرين هم يسألون المستضعفين من المؤمنين : ﴿ أتعلمون أنّ صالحًا مرسلٌ من ربّه ﴾ ويكون جواب المؤمنين بالإيجاب ، ويكون جواب الكافرين عليهم مؤكّدًا الكبر واحتقار المستضعفين من المؤمنين . إنّهم كافرون بما آمن به المؤمنون أي بصالحٍ عليه السّلام . وبذلك يكون تعبيرهم عن صالحٍ عليه السّلام ملتويًا كالتواء نفوسهم . ويؤكّد الكافرون كفرهم بعقر النّاقة ، وتكبّرهم وتجبّرهم وطلبهم من صالحٍ عليه السّلام ، على سبيل الاستهزاء والاستبعاد ، أن يأتيهم بالعذاب إن كان من المرسلين فعلاً . وهكذا يؤكّد الكافرون سفههم بطلب العذاب بدلاً من طلب الرّحمة والهداية . وتأخذ الصّاعقة المقرونة بالزّلزلة القوم الكافرين ويصبحون فى ديارهم ميّتين جاثمين على ركبهم . ويعرض صالحٌ عليه السّلام عنهم ويقول لهم : ﴿ يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربّى ونصحت لكم ولكن

لا تحبّون النّاصحين ﴾ .

وتحت عنوان : « لوطٌ عليه السّلام وقومه » درسنا الآيات (٨٠ ــ ٨٤) ولّما كان قوم لوطٍ عليه السّلام قد جمعوا بين الشّرك وإتيان الذّكران فقد أنكر عليه الصّلاة والسّلام كلاًّ من الشّرك وإتيان المنكر ، وها هو ذا عليه الصّلاة والسّلام يبيّن لقومه أنّ الفاحشة الّتى يأتون لم يسبقهم إليها مِنْ أحدٍ من العالمين . إنّهم ليأتون الذّكران ولو كانوا رجالاً ويجدون فى ذلك الشّهوة الّتى لا يجدونها عند النّساء . وكما استغنى بعض الرّجال ببعض استغنى النّساء . وبدلاً من أن يتوب القوم توبةً نصوحًا من الشّرك ومن إتيان الذّكران يصّرون على عقاب لوطٍ عليه السّلام والمتطهّرين من المؤمنين عن إتيان هذا الصّغار بالعمل من أجل طردهم من مدينتهم وإخراجهم من قريتهم . إنّ البلاد فى عُرْف المسرفين للمسرفين وحدهم أمّا المؤمنون المتّقون فيجب إخراجهم من البلاد عقابًا لهم على عفّتهم وطهرهم . وينجى الله تعالى لوطًا عليه السّلام وأهله من المؤمنين إلا امرأته الّتى كانت من الباقين فى العذاب . ربّما بسبب رفضها الخروج من المدينة وربّما بسبب التفاتها وراءها تجاه القوم الّذين أخذهم العذاب وكان ربّ العزّة نهى لوطًا عليه السّلام والمؤمنين أن يلتفت منهم أحدٌ بل عليهم أن يمضوا حيث يؤمرون . وقد تمثّل عذاب القوم فى الحجارة من الطّين الّتى نزلت عليهم من السّماء فى هيئة المطر وجعل عالى قرى قوم لوطٍ سافلها وهذا نوعٌ آخر من الحجارة الّتى نزلت هي الأخرى فى هيئة المطر . إنّ على المكذّبين أن يأخذوا العبرة من تلك العاقبة للمجرمين .

وتحت عنوان : « شعيبٌ عليه السّلام وقومه » درسنا الآيات (٨٥ ــ ٩٣) بعد أن أرسل الله تعالى لوطًا عليه السّلام ابن أخى إبراهيم عليه السّلام ، أرسل إلى مدين ، المدينة والقبيلة ، أخاهم شعيبًا عليه السّلام الّذى دعاهم إلى توحيد الله تعالى وإلى إيفاء المكيال والميزان وإنصاف الآخرين ، والّذى نهاهم عن قطع الطّريق ماديًّا ومعنويًّا أو دينيًّا بالصّدّ عن سبيل الله تعالى وتهديد من آمن بالشّرور وعن الإفساد

فى الأرض بعد إصلاحها بإرسال المرسلين والنّبيّين ابتداءً ، والّذى حثّهم على الشّكر لله تعالى وأخذ العبرة ممّا حلّ بالسّابقين المكذّبين . ويفرّ عليه السّلام إلى أحكم الحاكمين متذرّعًا بالصّبر مع قومه المؤمنين ، ويخيّر الملأ الّذين استكبروا شعيبًا عليه السّلام والمؤمنين بين الإخراج من المدينة مع البقاء على الإيمان والبقاء فى المدينة مع الارتداد إلى الشّرك . ويعبّر شعيبٌ عليه السّلام عن استنكاره دعوة الكافرين لهم إلى العودة فى ملّتهم رغم كرههم وبغضهم لتلك الملّة . وما معنى العودة إلى الشّرك ؟ افتراء الكذب على الله تعالى . ويعبّر شعيبٌ عليه السّلام والقوم المؤمنون عن ضعفهم وعجزهم وقلّة حيلتهم فلا يتمّ إيمانٌ لو أرادوا ولا كفرٌ ـ لاسمح الله ـ إلاّ بمشيئة الله تعالى الّذى وسع كلّ شيءٍ علمًا وقدرةً فعليه يتوكّل المؤمنون ومنه يطلبون النّصر على القوم الكافرين . ويصرّ المستكبرون على كفرهم إلى الحدّ الّذى يقسمون ويحلفون أنّ الخاسرين وحدهم هم الّذين يتّبعون شعيبًا عليه السّلام فتأخذهم الزّلزلة الشّديدة عن بكرة أبيهم ويتأكّد أنّهم هم الخاسرون . ويتولّى شعيبٌ عليه السّلام عنهم ويبيّن لكلّ داعيةٍ أنّه بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة وكان لقومه النّاصح الأمين ولذا فإنّه لا يحزن لما حلّ بالقوم الكافرين .

وتحت عنوان : « سنّة الله تعالى فى الكافرين الفاسقين وفى المؤمنين المتّقين » درسنا الآيات (٩٤ ـ ١٠٢) والآيات الكريمات تتحدّث على الإجمال عن النّبيّين الّذين لم يقصصهم جلّ وعلا على المصطفى ﷺ فى القرآن الكريم إثر الحديث على التّفصيل عن كوكبةٍ من رسل الله تعالى الكرام . وإنّ الهدف من الحديث على التّفصيل والإجمال تثبيت فؤاد المصطفى ﷺ . والآيات الكريمات تتحدّث عن سنّة الله تعالى فى إمهال المكذّبين وأخذهم بالبأساء والضّرّاء كي يلجأوا إلى بارئهم جلّ وعلا فإذا استمرّوا فى غيّهم استدرجهم الله تعالى بالنّعم كي يشكروا لله تعالى نعمه وآلاءه وكي يستفيدوا من فترة الإمهال وإلاّ أخذهم الله تعالى أخذ عزيزٍ مقتدر . وفى مقابل هؤلاء الّذين يكسبون السّيّئات هنالك الّذين يكسبون الحسنات بالإيمان

والتّقوى فلهم الحياة الطّيّبة فى الأولى والآخرة . وتنكر الآيات الكريمات على الكافرين استبعادهم عذاب الله تعالى أن يأخذهم ليلاً وهم نائمون ، ضحًى وهم يلعبون ، ليلاً ونهارًا وهم غافلون لاهون . إنّ الّذين يأمنون مكر الله تعالى هم الخاسرون حقًّا . ولمّا كان الهدف من القصص القرآنيّ أخذ النّاس العظة والعبرة فإنّ السّياق يسأل الّذين يرتكبون الفواحش من اللاّحقين فى إنكار : ألم يتّعظوا بما حلّ بالسّابقين من أخذ الله تعالى لهم بذنوبهم وطبعه على قلوبهم فهم لا يسمعون دعوة الحقّ سماع تدبّر ، وطبعه على قلوبهم بسبب كفرهم وإصرارهم على تكذيب رسل الله تعالى إليهم حتّى بعد إتيانهم بالآيات البيّنات الّتى اقترحوا على المرسلين والنّبيّين. إنّ أولئك هم الفاسقون حقًّا لأنّهم لا يوفون أساسًا بالعهد الذّى أخذه الله تعالى عليهم وهم فى عالم الذّرّ .

وتحت عنوان : « بَعْث الله تعالى موسى عليه السّلام بآياته التّسع وعاقبة المفسدين » درسنا الآيات (١٠٣ ــ ١٣٧) بعد حديث السّورة الكريمة على التّفصيل عن بعض الأمم المكذّبة الّتى دمّر الله تعالى عليها وعلى الإجمال عن البعض الآخر تحوّل الحديث إلى موسى عليه السّلام وفرعون الطّاغية . وكان الحديث مستفيضًا من أجل تثبيت فؤاد المصطفى ﷺ والفئة المؤمنة القليلة العدد آنذاك قبل الهجرة . والمعروف أنّ وجه الشّبه كبيرٌ بين حال كلٍّ من الرّسولين الكريمين . وبعد الحديث فى الآية الكريمة الأولى على سبيل الإيجاز عن بعث موسى عليه السّلام وعاقبة المفسدين يأتى التّفصيل . إنّ موسى عليه السّلام رسولٌ من ربّ العالمين إلى فرعون وملئه من أجل الإيمان وإرسال بنى إسرائيل معه عليه السّلام إلى أرض الشّام. وحريٌّ به عليه السّلام ألاّ يقول على الله تعالى الّذى أرسله بالآيات البيّنات إلاّ الحقّ. ويتجاهل فرعون الدّعوة إلى الإيمان ويطلب من موسى عليه السّلام أن يأتيه بآيةٍ إن كان من الصّادقين فى دعواه أنّه رسول ربّ العالمين وأنّه اصطفاه بآياتٍ بيّنات . فيلقى موسى عليه السّلام عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين . ويسكت السّياق عن

أخذ موسى عليه السّلام العصا مرّةً أخرى . وينزع عليه السّلام يده من إبطه فإذا هي بيضاء للنّاظرين من غير مرضٍ ولا برص . ويسكت السّياق عن نزع اليد مرّةً أخرى كي تخرج أدماء كما كانت . وعلى عادة كلّ البّبغاوات في عصور الطّغيان يكرّر الملأ في حديث بعضهم لبعضهم الآخر ذات الحديث الّذى دار بين الطّاغية وبينهم في شأن موسى عليه السّلام السّاحر العليم حسب زعمهم . ويكون الاتّفاق على إرجاء موسى وهارون عليهما السّلام إلى حين جمع أمهر السّحرة من سائر أرجاء مصر . ويجيء السّحرة الّذين يحرصون على ضمان ثمن الانتصار فيعدهم فرعون بالجاه العريض وراء المال الكثير . ويخيّر السّحرة موسى عليه السّلام بين أن يلقي أوّلاً وأن يلقوا هم أوّلاً . ويُفْهَم من اسم الضّمير : « نحن » الّذى يفيد التّوكيد حرص السّحرة على الإلقاء أوّلاً . ويجيبهم موسى عليه السّلام بما يفيد تحقيق أمنيتهم كي يظهر سحرهم العظيم وكي تظهر آيته العظمى عليه السّلام . ويسحر السّحرة أعين النّاس ويأتون بسحرٍ عظيم . ويوحى الله تعالى إلى موسى عليه السّلام بأن يلقي عصاه الّتى ابتلعت على الفور كلّ كذب السّاحرين فوقع الحقّ وزهق الباطل وغُلِب السّحرة وانقلبوا صاغرين حقيرين ذليلين . ولم يملك السّحرة أنفسهم فأُلْقُوا ساجدين معلنين إيمانهم بربّ العالمين ربّ موسى وهارون عليهما السّلام . وبدلاً من أن يؤمن الطّاغية هو ينكر على السّحرة إيمانهم قبل أن يأذن هو لهم بالإيمان ، ويتّهمهم بأنّ انهزامهم أمام موسى أمرٌ قُضِي بليل وثمرةٌ نكدة لمكرٍ مكروه في مدينة مصر من أجل إخراج أهلها منها والاستيلاء عليها . ويهدّدهم إن استمرّوا مؤمنين بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وتصليبهم على جذوع النّخل أجمعين . ويستسلم مؤمنو السّحرة لقضاء الله تعالى ، ويتعجّبون من عدم إيمان فرعون ، بل إنكاره عليهم الإيمان بآيات الله تعالى لمّا جاءتهم ، ويفرّون إلى أحكم الحاكمين ويسألونه جلّ وعلا أن يفرغ عليهم الصّبر إفراغًا ويصبّه عليهم صبًّا مقابل عذاب فرعون الشّديد لهم ، ويسألونه جلّ وعلا أن يتوفّاهم مسلمين لله ربّ

العالمين . وهكذا أصبح مؤمنو السّحرة شهداء آخر النّهار بعد أن كانوا كافرين أوّله. وإذا كان فرعون قد أصدر حكمه فى حقّ مؤمنى السّحرة فقد بقي أن يصدر حكمه على موسى عليه السّلام وقومه وفق اقتراح البّبغاوات من ملئه الّذين هيّجوا الطّاغية بالسّؤال الإنكاريّ على لسانهم : ﴿ أتذر موسى وقومه ليُفْسِدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك ﴾ ويكون الجواب على لسان الطّاغية : ﴿ سنقتّل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنّا فوقهم قاهرون ﴾ ويأمر موسى عليه السّلام قومه بأن يستعينوا بالله تعالى وبأن يصبروا ، ويخبرهم بأنّ الأرض كلّها لله تعالى يورثها جلّ وعلا من يشاء من عباده : ﴿ والعاقبة للمتّقين ﴾ ويشكو بنو إسرائيل لموسى عليه السّلام عذاب فرعون الشّديد لهم من قبل أن يأتيهم موسى عليه السّلام ومن بعد ما جاءهم . ويؤكّد موسى عليه السّلام لقومه معنى القول : إنّ العاقبة للمتّقين ، وينبّههم إلى المسئوليّة الملقاة على عاتقهم إذا مكّن الله تعالى لهم فى الأرض . والحقيقة أنّ الدّرس فى المسئوليّة ملقًى على أمّة الإسلام وبخاصّةٍ فى هذه الأيّام الّتى تتداعى عليهم الأمم فيها كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ووجوب رفعها راية الجهاد فى سبيل الله تعالى كي يعود إليها بإذن الله تعالى تالد مجدها . ويأخذ الله تعالى آل فرعون بالسّنين ونقصٍ من الثّمرات كي يتذكّروا ولكنّهم لا يتّعظون ، ويعتبرون السّيّئة الّتى تصيبهم شؤمًا حلّ بهم بسبب وجود موسى عليه السّلام والمؤمنين معه بين ظهرانيهم وتجاهلوا أنّ ما حلّ بهم عذابٌ من الله تعالى بسبب إصرارهم على الكفر وإعلانهم عدم الإيمان بموسى عليه السّلام مهما تكن الآيات الّتى يريد أن يسحرهم بها موغلةً فى الكثرة والغرابة ! وبعد الآيات الأربع يؤيّد الله تعالى موسى عليه السّلام بخمس آياتٍ أخر هي الطّوفان والجراد والقمّل والضّفادع والدّم . لقد استكبر القوم وكانوا مجرمين حقًّا . ودليلاً على سوء نيّتهم وخبث طويّتهم تعليق إيمانهم بموسى عليه السّلام بكشف الله تعالى العذاب عنهم أوّلاً . ودليلاً على تعمّد الكذب هم لا يكتفون بالوعد بالإيمان إنّما يضيفون إلى ذلك الوعد بإرسال بنى إسرائيل معه عليه

السّلام . وبعد كشف العذاب هم ينكثون العهد وينقضون الميثاق فينتقم الله تعالى منهم فيغرقهم فى الماء المِلْح ويجعل بنى إسرائيل الّذين كانوا يُستضعفون هم الوارثين مشارق أرض الشّام ومغاربها الّتى بارك الله تعالى فيها ، والوارثين لأرض مصر كذلك على نحو ما يتبيّن من الآية الكريمة التّاسعة والخمسين من سورة الشّعراء ، قال تعالى : ﴿ كذلك وأورثناها بنى إسرائيل ﴾ والآية الكريمة الثّامنة والعشرين من سورة الدّخان ، قال تعالى : ﴿ كذلك وأورثناها قومًا آخرين ﴾ وهكذا تمّت كلمة الله تعالى الحسنى بالتّمكين لبنى إسرائيل فى الأرض بسبب صبرهم ، ودمّر الله تعالى ما كان يصنع فرعون وقومه من المصانع والدّور ، وما كانوا يعرشون من الزّروع والقصور .

وتحت عنوان : « بنو إسرائيل يسألون موسى عليه السّلام الإذن لهم بعبادة الأصنام والإنكار عليهم » درسنا الآيات (١٣٨ ـــ ١٤١) وتدور الآيات الكريمات الأربع حول مقابلة بنى إسرائيل نعم الله تعالى عليهم بالكفران . إنّ ربّ العزّة أغرق فرعون وملأه فى البحر الأحمر وأنجى موسى عليه السّلام وقومه بنى إسرائيل وجاوز جلّ وعلا بهم البحر فأتى بنو إسرائيل على قومٍ مجتهدين فى عبادة الأصنام . وبدلاً من أن ينكروا عليهم هم يطلبون من موسى عليه السّلام أن يجعل لهم إلـهًا كما لأولئك آلهة فيصفهم عليه السّلام بالجهل لعدم معرفتهم حقّ الله تعالى عليهم وبالسَّفَه والطّيش . أمّا المشركون فهالك ما هم فيه ومكسّرةٌ أصنامهم وباطلٌ ما كانوا يعملون . وينكر عليهم أشدّ الإنكار أن يطلبوا منه عليه السّلام مساعدته لهم على البغي وأشدّ الفساد بالإشراك مع الله تعالى الّذى فضّلهم على عالمى زمانهم وأسبغ عليهم الكثير من النّعم وفى مقدّمتها إنجاؤهم من آل فرعون الطّاغية الّذين يلزمونهم أشدّ العذاب بقتل الأبناء وإبقاء البنات على قيد الحياة من أجل الانتفاع بهنّ حينما يبلغن مبلغ النّساء ومن أجل تحقيق أغراضهم الخسيسة . ويقرّر السّياق أنّ ذلك العذاب اختبارٌ من الله تعالى لبنى إسرائيل عظيم .

وتحت عنوان : « مجىء موسى عليه السّلام لميقات ربّه واصطفاؤه بالرّسالة

وبالكلام » درسنا الآيات (١٤٢ ـ ١٤٧) لقد واعد الله تعالى موسى عليه السّلام بالكلام بعد صيام ثلاثين ليلةً وقيامها تلاها صيام عشرٍ وقيامها . وقد أمر موسى عليه السّلام شقيقه هارون عليه السّلام أن يخلفه فى بنى إسرائيل وأن يواصل رسالة الإصلاح ونهاه عن اتّباع سبيل المفسدين . وكان كلام الله تعالى موسى عليه السّلام من بين سائر النّبيّين مشجّعًا له عليه السّلام على طلبٍ هو أشدّ خطرًا ألا وهو رؤية الله تعالى . وكان طلب موسى عليه السّلام غايةً فى الدّلالة على كمال الأدب وعظم الأخلاق . إنّ موسى عليه السّلام يسأل ربّه جلّ وعلا أن يريه نفسه كي ينظر موسى عليه السّلام إليه عزّ وجلّ . والمعروف أنّ القول : « نظر إلى الشّىء » فى اللّغة العربيّة لا يعنى حتميّة الرّؤيّة إنّما يعنى مجرّد إرسال البصر وقد تتحقّق الرّؤية وقد لا تتحقّق . ولّما كانت إرادة الله تعالى لم تشأ لمخلوقٍ أن يرى الذّات العليّة فى الحياة الأولى وكانت طبيعة موسى عليه السّلام لا تطيق تلك الرّؤية ولا تتحمّلها فإنّ ربّ العزّة يجيب موسى عليه السّلام بأنّه لن يرى الله تعالى فى الحياة الدّنيا . ومن أجل أن يعرف عليه السّلام الحكمة من النّفي يأمر الله تعالى موسى عليه السّلام أن ينظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه بعد تجلّى ربّه جلاّ وعلا وربّ كلّ شىءٍ له فذلك مظنّة إمكان رؤية موسى عليه السّلام الذّات العليّة لأنّه يطيق ذلك : ﴿ فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكًّا وخرّ موسى صعقًا . فلمّا أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين ﴾ ويكرم الله تعالى موسى عليه السّلام مقابل حجب الرّؤية بالكثير من النّعم . إنّ الله تعالى قد اصطفاه عليه السّلام على عالمى زمانه برسالته وبالكلام وبالتّوراة وبالوحي . ويؤمر عليه السّلام بأن يأخذ كلّ ذلك، وفى المقدّمة التّوراة الّتى فيها المواعظ والأحكام ، بجدٍّ واجتهاد ، وبأن يأمر قومه بأن يأخذوا بأحسن التّعاليم فى حال التّخيير . ولّما كان موسى عليه السّلام وقومه يتّجهون من مصر إلى الشّام فإنّ السّياق يقرّر أنّه جلّ وعلا سيرى بنى إسرائيل دار الفاسقين من أرض الشّام . أمّا صفات أولئك الفاسقين الّذين يصرف

الله تعالى قلوبهم عن آياته جلّ وعلا فإنّها الكِبْر فى الأرض بغير الحقّ ، والإعراض عن كلّ آيات الله تعالى ، وهجر طريق الرّشد وسلوك طريق الغيّ ، والتّكذيب بآيات الله تعالى والغفلة عنها والتّكذيب بيوم القيامة . إنّ أعمال القوم الصّالحة قد أحبطها الله تعالى وإنّهم سيعاقبون يوم القيامة على أعمالهم السّيّئة .

وتحت عنوان : « اتّخاذ قوم موسى عليه السّلام من بعده العجل إلـٰهًا وغضب موسى الشّديد على قومه » درسنا الآيات (١٤٨ - ١٥٤) اتّخذ قوم موسى عليه السّلام من بعد ذهابه عليه السّلام إلى ميقات ربّه العجل إلـٰهًا وكان قد صاغه السّامريّ من الذّهب وزعم أنّه إلـٰههم وإلـٰه موسى عليه السّلام الّذى نسيه عليه السّلام هنالك وذهب يطلبه ! إنّ العجل وهو ابن البقر يضرب به وبالبقرة وبالثّور المثل فى الغباء فكيف إذا كان مصنوعًا من معدن ؟ إنّه لا يكلّمهم ولا يهديهم سبيلاً ومع ذلك اتّخذوه إلـٰهًا فكانوا ظالمين حقًّا . ولمّا سُقِط فى أيديهم وندموا ورأوا أنّهم قد ضلّوا قالوا لئن لم يرحمنا ربّنا جلّ وعلا ويغفر لنا ذنبنا الكبير الّذى ارتكبنا لنكوننّ من الخاسرين حقّا . ولمّا رجع موسى عليه السّلام إلى قومه شديد الغضب والحزن بسبب شرك قومه قال لهم عليه السّلام بئسما خلفتمونى من بعدى أن عبدتم العجل . أعجلتم أمر ربّكم بعودتى فى موعدٍ لا أستطيع أن أخلفه وألقى عليه السّلام بألواح التّوراة الّتى يقال إنّها تكسّرت آنذاك وأخذ بشعر رأس أخيه بيده اليمنى وبلحيته بيده اليسرى يجرّ شقيقه هارون عليهما السّلام إليه بواسطتهما . وكي يرقّق هارون عليه السّلام قلب شقيقه موسى عليه السّلام ناداه بكونه ابن أمّه وبيّن له أنّ القوم استضعفوه وكادوا يقتلونه فعلى موسى عليه السّلام أن يكفّ عن ذلك وإلاّ سرّ ذلك الأعداء وجعل هارون عليه السّلام مع القوم الظّالمين . وحينما انجلت الحقيقة كاملةً لموسى عليه السّلام دعا ربّه جلّ وعلا أن يغفر له ولأخيه وأن يدخلهما فى رحمته ، فإنّه جلّ وعلا أرحم الرّاحمين . ويهدّد السّياق الّذين اتّخذوا العجل بأنّهم سينالهم غضبٌ من ربّهم جلّ وعلا وذلّةٌ فى الحياة الدّنيا أسوةً بالمفترين على الله تعالى الكذب من أمثالهم . ويفتح السّياق باب التّوبة على مصراعيه . إنّ الّذين عملوا السّيّئات ثمّ تابوا من بعدها وآمنوا ، إنّ ربّك من بعد التّوبة غفورٌ للذّنوب رحيم حينما أرشد إلى التّوبة ووفّق للقيام بها وقبلها وبدّل السّيّئات حسنات .

وتحت عنوان : « توبة بنى إسرائيل من عبادة العجل ووجوب اتّباع النّاس جميعًا محمّدًا ﷺ » درسنا الآيات (١٥٥ ـ ١٥٨) بأمرٍ من الله تعالى اختار موسى عليه السّلام من قومه الّذين لم يعبدوا العجل سبعين رجلاً يذهب بهم إلى جبل الطّور فى سيناء للوقت الّذى وعد الله تعالى موسى عليه السّلام أن يلقاه فيه للتّوبة . فلمّا أخذت الزّلزلة الشّديدة موسى عليه السّلام وقومه وهم فوق الجبل تضرّع عليه السّلام إلى ربّه جلّ وعلا قائلاً : يا ربّ لو شئت أهلكت بنى إسرائيل لعبادة العجل من قبل وإيّاي . وبما أنّ رحمتك قد وسعتنا فى أثناء اقتراف أكبر ذنبٍ وهو الشّرك فما أحرى رحمتك الموصولة أن تشملنا وقد أتيناك تائبين مستغفرين . وفى أسلوب الاستعطاف يسأل موسى عليه السّلام ربّه جلّ وعلا : ﴿ أتهلكنا بما فعل السّفهاء منّا ﴾ ؟ ما هي إلاّ فتنتك تضلّ بها من تشاء إضلاله بسبب إعراضه عن آياتك ، وتهدى من تشاء هدايته من الّذي جاهدوا فيك فهديتهم سبيلك . أنت وليّ أمرنا: ﴿ فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ واكتب لنا يا ربّنا فى هذه الدّنيا الأعمال الحسنة وفى الآخرة التّفضّل بقبولها وإدخالنا جنّات النّعيم إنّا تبنا إليك . قال جلّ وعلا : إنّ عذابي المحدود أصيب به من أشاء وإنّ رحمتي الواسعة تشمل كلّ شىءٍ وكلّ حيّ فسأكتب هذه الرّحمة وأوجبها للّذين يتّقون ويؤتون الزّكاة ويؤمنون بآياتى . إنّهم الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ محمّدًا ﷺ . وهذا الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم يجده اليهود مكتوبًا عندهم فى التّوراة والنّصارى فى الإنجيل . إنّه عليه الصّلاة والسّلام يأمرهم بالمعروف شرعًا وعقلاً وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطّيّبات من المطاعم والمشارب ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم حِملهم الثّقيل والأغلال الّتى كانت عليهم كقتل النّفس فى التّوبة على نحو ما مرّ بنا . إنّ الّذين آمنوا به ﷺ ووقّروه ونصروه بالنّفس والنّفيس أولئك هم المفلحون فى الأولى والآخرة . ويأمر ربّ العزّة حبيبه المصطفى ﷺ فى هذه السّورة الكريمة المكّيّة الّتى نزلت قبل الهجرة بأن يقول للنّاس أجمعين بأنّه عليه الصّلاة والسّلام رسول الله تعالى إليهم. إنّ الله تعالى هو : ﴿ الّذى له ملك السّماوات والأرض لا إله إلاّ هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله ﴾ وإنّ هذا الرّسول الكريم هو النّبيّ الأمّيّ معلّم الإنسانيّة الّذى يؤمن بالله تعالى ويؤمن بكلماته جلّ وعلا الموحى بها قرآنًا كريمًا وسنّةً نبويّةً مطهّرة فاتّبعوه لعلّكم أيّها النّاس تهتدون . وإنّ من أهمّ ما

يلفت النّظر فى الآية الكريمة الأخيرة أسلوب الالتفات . فبعد أن امتثل الرسول الكريم أمر ربّه جلّ وعلا فقال للنّاس إنّه عليه الصّلاة والسّلام رسول الله إليهم جميعًا تحوّل الحديث فى أسلوب الغائب إلى تبيين نعوت المصطفى ﷺ بحيث إنّ كلّ منصفٍ يقف على هذه النّعوت يتبيّن أنّ عليه أن يكون أوّل المبادرين إلى اتّباع خير الأنام ورسول السّلام ﷺ .

وتحت عنوان : « من بنى إسرائيل عادلون وظالمون » درسنا الآيات (١٥٩ - ١٦٢) يقرّر السّياق أنّ من قوم موسى عليه السّلام أمّةً يهدون الآخرين بالحقّ الّذى اهتدوا به من قبل وبه يعدلون فى الأحكام لهم أو عليهم . وقد قطّع الله سبحانه وتعالى بنى إسرائيل اثنتى عشرة أسباطًا أممًا وكان نواة كلّ سبط واحدًا من أبناء يعقوب عليه السّلام الاثنى عشر وفيهم يوسف عليه السّلام . ويعقوب عليه السّلام هو إسرائيل . وحينما كان بنو إسرائيل فى التّيه واشتدّت حاجتهم للماء شكوا لموسى عليه السّلام الّذى أوحي إليه بأن يضرب بعصاه الماء كي تنبجس منه اثنتا عشرة عينًا فى أوّل الأمر انبجاسًا خفيفًا يتحوّل بعدها انفجارًا عنيفًا . وقد علمت كلّ أمّة من بنى إسرائيل موضع شربها . وحينما أحرقتهم شمس شبه جزيرة سيناء فى التّيه أرسل الله تعالى عليهم السّحاب الّذى أظلّهم ، وأنزل الله تعالى عليهم المنّ بمنزلة الفاكهة والسّلوى طعامًا . والسّلوى طائر السُّمانَى . لقد أمِروا بأن يأكلوا أمر إباحة وأُمروا بأن يشكروا ولا يكفروا ولكنّهم ظلموا أنفسهم بكفرانهم النّعم . وبعد انقضاء فترة التّيه أمِروا بأن يدخلوا القرية أو الأرض المقدّسة بقيادة يوشع بن نون عليه السّلام وأن يسكنوا فيها ويأكلوا منها حيث شاءوا وأن يدعوا الله تعالى أن يغفر لهم ذنوبهم وأن يدخلوا باب القرية منحنين ركوعًا إلى مقاربة السّجود تواضعًا لله تعالى وشكرًا له جلّ وعلا . إنّهم إن فعلوا ذلك سيغفر الله تعالى لهم بفضله وسيزيد جلّ وعلا المحسنين منهم من واسع رحمته وفضله . إنّ القوم بدّلوا كلاًّ من القول والفعل على نحو ما بيّنت السّنّة النّبويّة المطهّرة فأرسل الله تعالى

عليهم رجزًا من السّماء بسبب الظّلم الّذى اتّصفوا به .

وتحت عنوان : « بنو إسرائيل المعتدون فى السّبت يُمْسخون قردة » درسنا الآيات (١٦٣ ـ ١٦٦) يدور حديث الآيات الكريمات فى مجموعها حول الفريق الظّالم من القرية الّتى تقع على ساحل البحر الأحمر الشّماليّ بين مصر والمدينة وهي قرية أيلة ذلك الفريق الّذى تمادى فى غيّه فاستمرّ فى صيد السّمك يوم السّبت ولم يتّعظ فمسخ الله تعالى المعتدين فى السّبت قردةً خاسئين . يبدأ السّياق بأمر المصطفى ﷺ أن يسأل بنى إسرائيل على جهة التّبكيت عن القرية الّتى كانت على ساحل البحر إذ يعدون فى السّبت بصيد الحيتان الّتى تأتيهم يوم السّبت ظاهرةً على الماء قريبةً منهم متحرّشةً بهم ليعلم الله تعالى علم ظهورٍ من يطيعه جلّ وعلا ورسوله موسى عليه السّلام بالغيب . وفى غير يوم السّبت لا تأتيهم ابتلاءً من الله تعالى بسبب فسقهم . وإذا كان هذا الفريق ظالمًا بالصّيد يوم السّبت وببيع السّمك وأكله فإنّ ثمّة فريقين سكت أحدهما عن النّهي ووعظ الآخر ونهى . وإنّ الفريق السّاكت يسأل الفريق النّاهى لم تعظ الفريق الظّالم الّذى سوف يهلكه الله تعالى أو يعذّبه عذابًا شديدًا . فأجاب الفريق النّاهى بأنّا نفعل ذلك معذرةً إلى الله تعالى ولعلّ الظّالمين ينتهون عن الظّلم . وحينما أصرّ الظّالمون على ظلمهم أنجى الله تعالى الّذين ينهون عن السّوء وربّما لحق بهم السّاكتون عن النّهي وأخذ الله تعالى الظّالمين بعذابٍ شديدٍ أليمٍ بسبب فسقهم . وحينما أصرّوا على الظّلم مسخهم الله تعالى قردةً خاسئين حقيرين ذليلين والعياذ بالله .

وتحت عنوان : « ليبعثنّ الله على بنى إسرائيل من يسومهم سوء العذاب ، وفى القوم صالحون وطالحون » درسنا الآيات (١٦٧ ـ ١٧١) فى معرض تسلية الله تعالى حبيبه ﷺ تقول أولى آيات القسم : واذكر يا محمّد إذ أعلن ربّك الّذى ربّاك بنعمه ليسلّطنّ على بنى إسرائيل إلى يوم القيامة من يذيقهم سوء العذاب . إنّ ربّك أيها الرّسول الكريم لسريع العقاب وإنّه جلّ وعلا لغفورٌ رحيم . وقد قطّع الله

تعالى بنى إسرائيل فى الأرض أمَمًا منهم الصّالحون ومنهم غير ذلك واختبرهم الله تعالى بالحسنات والسّيّئات لعلّهم يرجعون إليه جلّ وعلا . فَخَلَفَ من بعد هذا الخَلَف الحَسَن خَلْفُ سَوْءٍ ورثوا التّوراة ولكنّهم يؤثرون عرض الحياة الدّنيا العاجل على نعيم الآخرة المقيم ويقولون إنّ الله تعالى سيغفر لنا ذنوبنا مع أنّ التّوراة ليس فيها وعد المغفرة مع الإصرار . ويكرّر القوم إيثار العاجلة والقول ذاته بأنّ الله تعالى سيغفر لهم مع أنّهم قد أُخِذ عليهم ميثاق التّوراة الّتى درسوها ألاّ يقولوا على الله تعالى إلاّ الحقّ وأن يعلموا أنّ الآخرة خيرٌ للّذين يتّقون فعليهم استعمال عقولهم استعمالاً صحيحًا . إنّ الّذين يستمسكون بالكتاب ويقيمون الصّلاة عليهم أن يعلموا أنّ الله تعالى لا يضيع أجر المصلحين . وكما بدئت أولى آيات القسم بالقول: ﴿ وإذ ﴾ بدئت آخر الآيات . والمعنى : واذكر يا محمّد إذ رفعنا فوقهم جبل الطّور فى شبه جزيرة سيناء كأنّه سحابةٌ تظلّهم وأيقنوا أنّه واقعٌ بهم وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بجدٍّ واجتهادٍ واذكروا ما فيه لعلّكم ترقون إلى درجة التّقوى الوجه الآخر للإحسان .

وتحت عنوان : « يأخذ الله العهد من بنى آدم وهم فى عالم الذّرّ بإفراده جلّ وعلا بالعبادة » درسنا الآيات (١٧٢ ــ ١٧٤) وهذا القسم يأتى إثر قوارع الزّواجر وصوارم الأوامر الّتى كانت من نصيب بنى إسرائيل . وأوّل ما يصادفنا فى المقابل هذا الخطاب اللّطيف من ربّ العالمين لحبيبه خير الأنام ﷺ : ﴿ وإذ أخذ ربّك ﴾ فإنّ لفظ الرّبّ يستعمل فى القرآن الكريم فى مواطن الخصوص وأجواء الرّضا والامتنان . إنّ السّياق يشير إلى العهد الّذى أخذه جلّ وعلا من بنى آدم وهم فى عالم الذّرّ بأن يفردوه جلّ وعلا بالعبادة وإدلائهم بالشّهادة على أنفسهم لئلاّ يقولوا دون وجه حقٍّ يوم القيامة وقد أخذهم العذاب : ﴿ إنّا كنّا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّيّةً من بعدهم . أفتهلكنا بما فعل

المبطلون﴾ . إنّ فى مثل هذه الطّريقة من التّبيين يفصّل الله تعالى الآيات كي يتدبّرها الخارجون عن الصّراط المستقيم ولعلّهم يرجعون .

وتحت عنوان : « مَثَلُ الّذى ينسلخ من آيات الله كمثل الكلب ، والكافرون كالأنعام بل هم أضلّ » درسنا الآيات (١٧٥ ـ ١٧٩) إنّ من أهمّ ما ينبّه عليه الّذى انسلخ من آيات الله تعالى كلّها عن عمدٍ وسبق إصرار وهو بلعم أو بلعام بن باعوراء من بنى إسرائيل الّذى آتاه الله تعالى علم التّوراة من قبل والّذى مثله كمثل الكلب بجامع الإصرار من الكافر على كفره والكلب على لَهَثِه أنّ مثل الكلب إن كان من نصيب واحدٍ من بنى إسرائيل فإنّ مثل الحمار الّذى يحمل أسفارًا فى سورة الجمعة هو من نصيب بنى إسرائيل أيضًا . إنّهم لم يستفيدوا من تعاليم التّوراة الّتى أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السّلام فمثلهم كمثل الحمار الّذى يحمل أسفارًا ويستوى فى حقّه أن يحمل فوق ظهره الكتب القيّمة وأن يحمل أهون الأشياء بجامع عدم الانتفاع أو التّأذّى ممّا يحمل . إنّ الّذى آتاه الله تعالى من لدنه علم آيات التّوراة انسلخ منها كما تنسلخ الحيّة من قشرها فلحقه الشّيطان وأدركه وكان له قرينًا فكان من الغاوين بعد رشد ، الضّالّين بعد اهتداء ، الّذين يدفعهم الشّيطان ويقودهم الهوى إلى مهاوى الرّدى فكانت الدّنيا أكبر همّه ولصق بالأرض ولزمها . وبما أنّه أبى رفع الله تعالى له بالعلم اللّدنّي الّذى آتاه الله تعالى إيّاه وآثر الضّعه والهوان والّذلّة فإنّ الله تعالى زاده ضعةً وهوانًا وذلّةً ولم يشأ جلّ وعلا أن يرفعه بعد أن وضع الشّقيّ من قدر نفسه . إنّ مثل هذا المكذّب مثل القوم الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى من المكّيّين وسواهم من الكافرين . ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام بأن يقصّ القَصص لعلّ المكذّبين يتفكّرون ويتدبّرون ويرتدعون . بئس المثل مثل القوم الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى وكانوا يظلمون أنفسهم لأنّ وبال تكذيبهم مرتدٌّ عليهم . إنّ الّذى يهديه الله تعالى هو المهتدى وهو المفلح . وإنّ الّذى يضلّه الله تعالى هو الضّالّ وهو الخاسر . وإنّ ربّ العزّة خلق لجهنّم كثيرًا من الجنّ والإنس اختاروا

بمحض إرادتهم أسوأ الصّفات . إنّ قلوبهم لا تفقه ، وإنّ أعينهم لا تبصر نور الهداية، وإنّ آذانهم لا تعى دعوة الحقّ . إنّهم كالأنعام الّتى تضخّ قلوبها الدّم فى سائر أنحاء الجسد فقط ، والّتى تبصر أعينها النّور المحسوس وحده ، والّتى تسمع آذانها صوت الرّاعى دعاءً إن كان قريبًا نداءً إن كان بعيدًا فحسب . بل إنّهم أضلّ من الأنعام لأنّهم وهم المكلّفون يصرّون على ما يضرّهم فى حين تحرص الأنعام غير المكلّفة على ما ينفعها بالغريزة . إنّ أولئك هم الغافلون حقًّا عن الخطأ العظيم الّذى يأتون والخطر العظيم الّذى هم فيه فى الحال والمآل .

وتحت عنوان : « لله الأسماء الحُسْنَى وانظروا فى ملكوت السّماوات والأرض » درسنا الآيات (١٨٠ ـ ١٨٦) يقرّر السّياق أنّ لله تعالى الواحد الأحد الفرد الصّمد الّذى لم يلد ولم يولد الأسماءَ الحُسْنَى التّسعة والتّسعين الّتى نصّ عليها الحديث الصّحيح . والمعروف أنّ للذّات العليّة اسمًا واحدًا هو : ﴿ الله ﴾ أمّا باقى الأسماء فإنّها صفات . وأعظم الصّفات : ﴿ الرّحمن ﴾ وهذه الصّفات يوصف بها الاسم : ﴿ الله ﴾ على نحو ما جاء فى آخر سورة الحشر . إنّ علينا نحن المسلمين أن ندعو الله تعالى بأسمائه الحُسْنى وصفاته جلّ وعلا العُلَى وأن نترك ونهجر الّذين يلحدون فى أسمائه جلّ وعلا عن طريق الاستقامة كأن يشتقّوا لآلهتهم المزعومة أسماءً كاللاّت والعُزّى ومناة من أسماء الله تعالى الحسنى الله ، العزيز ، المنّان . إنّ هؤلاء سيُجْزَون جزاء ما كانوا يعملون من سيّئاتٍ . أمّا أمّة محمّد بن عبد الله ﷺ فإنّها تهدى الآخرين إلى الحقّ الّذى هداها الله تعالى إليه وتعدل بالحقّ مع الآخرين فى الأحكام وغير الأحكام وإنّ هؤلاء المكذّبين سيستدرجهم الله تعالى من حيث لا يعلمون ، وسيملى لهم حتّى يأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدرٍ ، إن هم استمرّوا كافرين ، فإنّ كيد الله تعالى متين . وإنّ على كفّار مكّة أن يتفكّروا جيّدًا فى شأن محمّد ﷺ كي يتبيّنوا أنّه بعكس ما يزعمون ، فليس به شيءٌ من جنون ، وأنّه عليه الصّلاة والسّلام هو النّذير البيّن الإنذار لهم بين يدي عذابٍ شديد . وإنّ على كفّار مكّة فى

المقام الأوّل أيضًا أن ينظروا فى ملك الله تعالى العظيم فى السّماوات والأرض وفى كلّ شيءٍ خلقه الله تعالى كي ينتهوا إلى أنّه جلّ وعلا هو الواحد المعبود بحقّ ، وأن ينظروا فى أنّه عسى أن يكون أجلهم قد اقترب وموتهم قددنا وهم كافرون كي ينتهوا إلى أنّ عليهم أن يبادروا إلى اعتناق دين الإسلام قبل فوات الأوان . وإنّ كفّار مكّة الفصحاء إن لم يؤمنوا بالقرآن الكريم الّذى نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين ، فبأيّ حديثٍ بعد هذا الكتاب العزيز يؤمنون ! إنّ الّذى يؤثر الضّلال على الهدى يزيده الله تعالى ضلالاً ويتركه فى طغيانه متردّدًا متحيّرا .

وتحت عنوان : « علم السّاعة عند الله تعالى وحده وما محمّدٌ إلاّ نذيرٌ وبشير » درسنا الآيتين (١٨٧ و١٨٨) تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ كفّار قريش يسألون المصطفى ﷺ عن وقت قيام السّاعة . ولمّا كان هذا العلم ممّا استأثر الله تعالى به فإنّ الآية الكريمة تقرّر هذا الاستئثار فى القول : ﴿ قل إنّما علمها عند ربّى ﴾ الّذى يبدو فيه الفصل التّامّ الواضح بين مقام الرّبوبيّة وبين مكان عبوديّة المصطفى ﷺ . وللقول : ﴿ ربّى ﴾ على لسان المصطفى ﷺ كبير دورٍ فى تأكيد عبوديّة المصطفى ﷺ الّذى لا يملك سوى ما شاء الله تعالى له أن يملك . والسّاعة لا يجلّيها ولا يظهرها على جليّتها لوقتها إلاّ هو جلّ وعلا . وهي ثقيلٌ قيامها على أهل السّماوات والأرض لأنّ الجميع يناله بإذن الله تعالى ضرر قيامها . وهي لا تأتى إلاّ بغتة . وفى القول الّذى يدلّ على إلحاف القوم فى السّؤال : ﴿ يسألونك كأنّك حفيٌّ عنها ﴾ تبدو بلاغة القرآن بالحذف بسبب تأخير الجارّ والمجرور ﴿ عنها ﴾ فقام بدور جارّين ومجرورين لأنّ أصل الكلام ، والله تعالى أعلم ، يسألونك عنها كأنّك حفيّ بها . ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام للمرّة الأخرى أن يقول للملحفين فى السّؤال عن السّاعة : إنّ علم السّاعة عند الله تعالى وحده لا شريك له ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون . وانسجامًا مع كثرة السّائلين عن السّاعة وكثرة الأسئلة عنها يجيء لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ فى القول : ﴿ قل إنّما علمها عند الله ﴾ لأنّ لفظ

الجلالة : ﴿ الله ﴾ يستعمل فى القرآن الكريم فى مواطن العموم ، كما يجىء لفظ النّاس فى لقول : ﴿ ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون ﴾ .

والآية الكريمة الأخرى تؤكّد مقام عبوديّة المصطفى ﷺ . إنّه عليه الصّلاة والسّلام يؤمر بأن يقول للّذين يسألونه عن السّاعة إنّه لا يعلم ما هو أهون من السّاعة . إنّه عليه الصّلاة والسّلام لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلاّ ما شاء الله تعالى له من نفعٍ أو ضرّ ، ولو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير وجلب النّفع ومن دفع الضّرّ ودفع السّوء . إنّه عليه الصّلاة والسّلام ليس سوى النّذير للكافرين والبشير للمؤمنين .

وتحت عنوان : « الله تعالى هو الخالق القادر على كلّ شىء والآلهة الأخرى مخلوقةٌ عاجزةٌ مقهورة » درسنا الآيات (١٨٩ ــ ١٩٨) يقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذى خلقنا من نفسٍ واحدةٍ هي نفس أبينا آدم عليه السّلام الّتى خلق الله سبحانه وتعالى ، وجعل منها زوجها هي نفس أمّنا حوّاء عليها السّلام ليجد عندها السّكينة والطّمأنينة . فلمّا تغشّاها وجامعها حملت حَمْلاً خفيفًا أوّل الأمر فمرّت به ، وذهبت وجاءت ، وقامت وقعدت ، فلمّا اثقلت ودنا وقت وضع الجنين دعوا الله تعالى ربّهما جلّ وعلا وقالا : لئن آتيتنا يا ربّنا ، فضلاً منك ونعمة، ولدًا صالحًا ، كامل الخلقة تامّ الصّفات لنكوننّ لك من الشّاكرين الّذين يفردونك بالعبادة . ويتحوّل السّياق إلى جنس الزّوجين غير المسلمين لله ربّ العالمين . إنّهما حينما آتاهما ربّهما جلّ وعلا ولدًا صالحًا كامل الخلق أبيض الصّفحة جعلا لله تعالى شركاء فى الطّفل الّذى أعطاهما جلّ وعلا إيّاه . إنّهما بدلاً من أن يسمّياه عبد الله وعبد الرّحمن وما إليهما من الأسماء الحسنة سمّياه عبد اللاّت وعبد العزّى وعبد مناة وما إليهما من الأسماء الّتى ألحدوا فيها فتعالى الله وتعظّم عمّا يشركون . وفى أسلوب الاستفهام ينكر السّياق عليهم أن يشركوا مع الله تعالى فى العبادة ما لا يخلق شيئًا وهم يُخْلَقون ، وما لا يستطيعون لهم نصرًا ولا

ينصرون أنفسهم ، والّذين لو دعوتموهم إلى الهدى ما اتّبعوكم . بل إنّه يستوى فى حقهم أن تدعوهم وأن تصمتوا فى حقّهم لأنّهم أصنام . وبشأن المعبودين من العقلاء ، غير الرّاضين عن الشّرك والرّاضين ، يقرّر السّياق أنّهم عبادٌ لله تعالى كالعابدين سواءً بسواء والدّليل على كذب من زعم أنّهم آلهة أن تدعوهم فإنّهم لن يستجيبوا لكم ولن يستطيعوا أن يفعلوا لكم شيئًا . وفى أسلوب الاستفهام ينكر السّياق أن يكون لتلك الأصنام أرجلٌ يمشون بها ، وأيدٍ يبطشون بها ، وأعينٌ يبصرون بها الصّراط المستقيم كي يهدوا إليه الآخرين ، وآذانٌ يسمعون بها صوت الحقّ ويقبلونه ويدعون إليه . وتأكيدًا لعجز الأصنام عن إيصال الأذى إلى الآخرين فضلاً عن النّفع يؤمر عليه الصّلاة والسّلام أن يقول لأولئك المشركين : ﴿ ادعوا شركاءكم ثمّ كيدون فلا تُنْظرون ﴾ وفى مقابل تأكيد عجز الأصنام عن إيصال الأذى إليه ﷺ يقرّر السّياق أنّ وليّ المصطفى ﷺ وناصره هو الله تعالى الّذى يتولّى الصّالحين وينصرهم . ويتحوّل السّياق إلى مخاطبة المشركين ويقول لهم : إنّ الّذين تدعون من دون الله تعالى لا يستطيعون نصركم ولا نصر أنفسهم ، وإنّ ما تعبدون من دون الله تعالى أصنامٌ وجماد ولهذا أنتم إن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا مجرّد دعوتكم فكيف يفهمونها ويقبلونها ، وإنّكم ترونهم ينظرون إليكم بأعينهم ولكنّهم لا يبصرون ولا يرون لأنّ أعينهم اشكالٌ لا حقائق تحتها ، وصورٌ لا قوّة مبصرةً وراءها . إنّهم يتّخذون شكل من ينظر إليك بأعينهم ولا شىء وراء ذلك الشّكل من قوّةٍ تبصر وعينٍ ترى . ولا يكاد العجب ينتهى من بعض العقلاء الّذين يعطّلون عقولهم ويعبدون ما لا يعقل ويشركون الأصنام فى العبادة مع ربّ الأنام الخالق البارئ المصوّر القادر على كلّ شيءٍ الفعّال لما يريد .

وتحت عنوان : « من توجيهات القرآن الكريم الهدى والرّحمة للمؤمنين » درسنا الآيات (١٩٩ ـ ٢٠٦) إنّ السّياق يأمر المصطفى ﷺ بأن يأخذ العفو من النّاس وما سمحت به نفوسهم وألاّ يلحّ فى الطّلب وأن يرضى منهم بما هو فى حدود

وسعهم ودون طاقتهم . كما يأمره عليه الصّلاة والسّلام بأن يأمر بالمعروف شرعًا وعقلاً وبأن يُعْرِض عن الجاهلين السّفهاء . وكأنّ الآية الكريمة تذكر بعض النّعوت الّتى ينبغى توافرها فى القيادة المسلمة النّاجحة الموفّقة بإذن الله تعالى . وفى حالة نزغ الشّيطان الرّجيم الإنسان المسلم وإهاجته على الشّرور ومحاولته صرفه عن تعاليم السّماء فإنّ على المسلم لله ربّ العالمين أن يستعيذ بالله تعالى السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم . وإنّ الّذين اتّقوا الله تعالى إذا مسّهم طائفٌ من الشّيطان الرّجيم وألّم بهم نزغٌ من اللّعين الطّريد تذكّروا الله تعالى ونوره المبين وصراطه المستقيم فإذا هم مبصرون للطّريق الصّحيح . أمّا شياطين الإنس فى المقابل فإنّ إخوانهم من شياطين الجنّ لا يكفّون عن إهاجتهم على الشّرور والآثام الّتى لا يكفّ شياطين الإنس عن ارتكابها . ومن هذه الشّرور والآثام الإصرار على الإعراض عن القرآن الكريم وطلب آياتٍ ماديّةٍ تقلّ فى مجال الإقناع عن القرآن الكريم البصائر من ربّ العالمين والهدى والرّحمة للمؤمنين . إنّ السّياق يأمر المصطفى ﷺ بأن يقول لأولئك الكافرين من أهل مكّة الّذين يوحى إليهم شياطين الجنّ زخرف القول وغروره : ﴿ إنّما أتّبع ما يوحَى إليّ من ربّى ﴾ والمطلوب من المؤمنين تجاه القرآن الكريم أن يقرأوه ويستمعوا له وينصتوا ويعملوا به لعلّهم يُرْحمون . وكأنّ هذه الضّروب من العناية بالقرآن الكريم امتدادٌ للأخذ فى القول : ﴿ خذ العفو ﴾ وإذا كانت قراءة القرآن الكريم تستنفد بعض الوقت فإنّ ذكر الله تعالى المأمور به المؤمن فى الآية الكريمة التّالية يستنفد وقتًا أكبر . والمعروف أنّ ذكر الله تعالى سرًّا وعلانيةً ، تضرّعًا وخيفة ، بالغدوّ والآصال وفى كلّ الأوقات قد أمر الله تعالى به عباده المؤمنين بسبب سهولة الذّكر ولهذا لم يضع الشّارع الحكيم حدًّا لنهايته . وكأنّ ذكر الله تعالى والاجتهاد فى الذّكر امتدادٌ للأمر بالمعروف فى القول : ﴿ وأمر بالعُرْف ﴾ وإذا كان ذكر الله تعالى لا يستنفد كلّ وقت الإنسان ولا كلّ حياته فإنّ السّياق يتحوّل إلى العبادة ذاتها فيأمر بها . والمعروف أنّ مفهوم العبادة فى الإسلام واسعٌ

إلى أبعد الدّرجات . إنّ كلّ عملٍ صالحٍ بمقياس الإسلام يريد به الإنسان وجه ربّه الأعلى يعتبر داخلاً فى مفهوم العبادة بالمعنى الّذى تبيّن . وإنّ آخر آيات القسم تأمر المسلم لله ربّ العالمين أن يحذو حذو الملائكة الأطهار الّذين لا يستكبرون عن عبادة الله تعالى ويسبّحونه جلّ وعلا وينزّهونه عن كلّ ما لا يليق به عزّ وجلّ ويسجدون له جلّ وعلا . وكأنّ نفي الاستكبار عن عبادة الله تعالى وما يتعلّق بذلك من تسبيح بحمد الله تعالى وسجود امتدادٌ للأمر بالإعراض عن الجاهلين فى القول : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ إنّ السّفيه الأحمق يتجلّى أسوأ ضروب سفهه وحمقه فى الاستكبار عن عبادة الله تعالى .

وحينما يكون حديث هذا القسم عن القرآن واضحًا ، ويكون حديث السّورة الكريمة الّتى تبدأ بالحروف المقطّعة : ﴿ المص ﴾ عن القرآن الكريم فى أوّلها واضحًا كذلك ، يكون الحديث عن القرآن الكريم فى الموضعين من وسائل الرّبط بين الآيات الكريمات وموضوعات السّورة الكريمة وإن تباعدت .

فهرست المصادر والمراجع

القــرآن الكريــم

ابـن الأثـــير (ضياء الدّين بن الأثير) المثل السّـائر فى أدب الكـاتب والشّـاعر . تحقيق وشـرح وتعليق د . أحمد الحوفى ود . بـدوى طبانـة . منشـورات دار الرّفـاعى بالرّيـاض . الطّبعة الثّانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

ابـن تيمـــية (أحمد بن عبد الحليم) الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر . تحقيق د . صلاح الدّين المنجّـد . دار الكتـاب الجديـد . بـيروت لبنـان ١٩٧٦ م ١٣٩٦ هـ الجـواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح . مطبعة المدنى بالقاهرة . بدون تأريخ .

ابـــن الجـوزيّ (أبو الفرج عبد الرّحمـن) زاد المسير فى علـم التّفسير الطّبعة الأولى ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م للمكتب الإسلاميّ للطّباعة والنّشر . دمشق . بيروت .

ابـــن حجـــر (الحافظ أحمد بن على) فتح البارى بشرح صحيح البخاري عبـد العزيز بـن عبـد الله بن باز ، محمّد فؤاد عبد الباقى ، محبّ الدّين الخطيب . المكتبة السّلفيّة .

ابـــن حنبـــل (الإمام أحمد) المسند . شرحه ووضع فهارسه أحمد محمّد شاكر . الطّبعة الرّابعة . مصوّرة طبعة دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م .

ابن عطيّة (أبو محمّد عبد الحقّ) المحرّر الوجيز فى تفسير الكتـاب العزيز . تحقيق وتعليق الرّحالى الفاروقى ، عبد الله بن إبراهيم الأنصارى . السّيّد عبد العال السّيّد إبراهيم، محمّد الشّافعى صادق العنانى ، الطّبعة الأولى . قطر ١٣٩٨ هـ ١٩٧٧ م .

ابن فـــارس (أبو الحسين أحمد) مقاييس اللّغـة . تحقيق وضبـط عبـد السّـلام محمّـد هـارون . الطّبعة الثّانية . ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م حلبى . مصر .

ابـــن القيـــّم (شمس الدّيـن محمّـد بن أبى بكـر الزّرعـى) التّفسير القيّـم . جمعه محمّـد أويس النّدوى. حقّقه محمّد حامد الفقى دار الكتـب العلميّة . بيروت لبنـان ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان . مصر . تصوير دار الكتـب العلميّة . بيروت . لبنان بدون تأريخ .

ابـــن كثـــير (الحافظ عماد الدّين أبو الفدا إسماعيل) تفسـير القـرآن العظيـم . دار إحيـاء التّراث العربى بيروت ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م .

ابن منظـــور (جمال الدّين محمّد بن مكرّم) لسان العرب بيروت ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م .

ابـــن هشـــام (أبو محمّد عبد الملك) السّيرة النّبويّة تحقيق مصطفى السّقّا ، إبراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ شلبيّ دار إحياء التّراث العربى بيروت لبنان ١٩٨٥ م نسخة مصـوّرة. وتحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد . دار الفكر . بدون تاريخ .

أبـــو حيّـــان (محمّد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيّان) البحـر المحيط بيروت . نسخة مصوّرة .

الأخفـــش (أبو الحسـن سعيد بن مسعدة) معانى القرآن تحقيق د . فـائز فـارس الكويـت ١٩٧٩ م .

باجـــودة (حسن محمّد) تأمّلات فى سورة آل عمران . من مطبوعات نادى جدّة الأدبى الثّقافى ١٤١٣ هـ تأمّلات فى سورة الأحزاب من مطبوعات نادى مكّة الثّقافى الأدبى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م تـأمّلات فـى سـورة الإسـراء القـاهرة ١٩٧٨ م تأمّلات فى سورة الأنعام مخطوط . تـأمّلات فـى سـورة البقـرة دار مصـر للطّباعـة ١٩٩٢ م تأمّلات فى سورة الحاقّة القاهرة ١٩٧٧ م تأمّلات فـى سـورة الفرقـان الطّبعة الثّانية . مكّة المكرّمة ١٤١٤ هـ تأمّلات فى سورة النّازعـات مكّـة المكرّمـة ١٤١١ هـ تأمّلات فى سورة يـس قلـب القـرآن ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م التّفسير البسيط للقرآن الكريم مكّة المكرّمة ١٤١١ هـ ١٩٩١ م شعر أهـل المدينـة المنـوّرة حتّى نهاية عصر بنى أميّة . رسالة دكتوراه . مخطوط .

الباقلاّنـــى (أبو بكر محمّد بن الطّيّب) إعجاز القرآن تحقيق السّيّد أحمد صقر . الطّبعة الرّابعة. ذخائر العرب دار المعارف بمصر .

البخـــارى (أبو عبد الله محمّـد بن إسماعيل بن إبراهيم) كتاب الصّحيح كتاب الشّعب ١٣٧٨ هـ

البقاعى (أبو الحسن إبراهيم بن عمر) نظم الدّرر فى تناسب الآيات والسّور . الطّبعة الثّانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م دار الكتاب الإسلامى بالقاهرة .

البيضاوى (أبو الخير عبد الله بن عمر) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل . الطّبعة الثّانية ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م حلبى . مصر .

التّرمـــذى (أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سَـوْرة) الجامع الصّحيح وهو سنن التّرمذي . تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر نسخة مصوّرة بدون تاريخ .

الجاحـــظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) الحيـوان . تحقيق عبد السّلام محمّد هارون حلبى الطّبعة الأولى ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م .

الرّاغب الصفهاني (أبو القاسم الحسين بـن محمّـد) المفردات فى غريب القرآن تحقيق محمّد سيّد الكيلانى . دار المعرفة . بيروت . لبنان . بدون تاريخ .

الرّمّانـــــى (أبو الحسن على بن عيسى) النّكت فى إعجاز القرآن . ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرّمّانى والخطّابى وعبد القاهر الجرجانى تحقيق محمّد خلف الله ومحمّد زغلول سلاّم ذخائر العرب ١٦ دار المعارف بمصر .

الزّمخشـــري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) الكشّاف . مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٧٦ هـ ١٩٤٨ م .

سابـــــق (السّيّد) فقه السّنّة الطّبعة الأولى . بيروت ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .

السّيوطـــى (جلال الدّين عبد الرّحمن) الإتقان فى علوم القـرآن . تحقيق : محمّـد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٧٤ م تفسير الجلالين . الدّرّ المنثور فى التّفسير بالمأثور . دار الفكر . بيروت . الطّبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

الشّعـراوى (محمّد متولّى) الإسراء والمعراج . دار الشّروق . الطّبعة الثّالثة فبراير ١٩٧٤ م .

الشّـــوكانى (محمّد بن على بن محمّد) فتح القدير . حلبى . تصوير بيروت .

صـــافى (محمود) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه . تصنيف محمود صافى . مراجعة لينه الحمصى . طبع على نفقة إدارة إحياء التّراث الإسلامى . دولة قطر دار الرّشيد دمشق بيروت ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

الطّـــبري (أبو جعفر محمّد بن جرير) جامع البيان فى تفسير القرآن . الطّبعة الأولى بولاق ١٣٢٩ هـ وتحقيق محمود محمّد شاكر دار المعارف بمصر ١٩٦٠ تراث الإسلام.

العسكـــرى (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل) كتاب الصّناعتين الكتابة والشّعر . تحقيق على محمّد البجاوى ، محمّد أبو الفضل إبراهيم . الطّبعة الأولى ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م حلبى . القاهرة .

العكـــبرى (أبو البقاء عبد الله بن الحسين) التّبيان بشرح ديوان أبى الطّيب المتنبّى . ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه مصطفى السّقّا . إبراهيم الأبيارى . عبد الحفيظ شلبى . الطّبعة الثّانية ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م حلبى . مصر .

الفـــرّاء (أبو زكريّا يحيى بن زياد) معانى القرآن . تصوير عالم الكتب بيروت . الهيئة المصريّة العامّة للكتاب . الطبعة الثّانية ١٩٨٠ م

الفيروزابـــادى (مجد الدّين محمّد بن يعقوب) القاموس المحيط .

القـــالى (أبو على) الأمالى بولاق ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م .

القرطـبى (أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصارى) الجامع لأحكام القرآن . دار الشّعب . القاهرة بدون تاريخ .

مسلـــم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيرى) كتاب الصّحيح بشرح النّووى . المطبعة المصريّة ومكتبتها ١٣٤٩ هـ .

النّسفـــى (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود) تفسير النّسفى . دار إحياء الكتب العربيّة . عيسى البابى الحلبى وشركاه . تصوير . بدون تاريخ .

النّيسابـــورى (أبو الحسن على بن أحمد الواحدى) أسباب النّزول . تحقيق السّيّد أحمد صقر الطّبعة الثّالثة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م دار القبلة للثّقافة الإسلاميّة . جدّة . مؤسّسة علوم القرآن . سوريا . دمشق . بيروت .

النّيسابـــورى (الحسن بن محمّد بن حسين) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان . مطبوع بهامش تفسير الطّبري . بولاق ١٣٢٩ هـ .

الهاشمـــى (السّيّد أحمد) القواعد الأساسيّة للّغة العربيّة دار الكتب العلميّة . بيروت لبنان . بدون تاريخ .

ياقـــوت (شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى) معجم البلدان بيروت ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م

المعجم الوسيط مجمع اللّغة العربيّة الطّبعة الثّانية .

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضـــــــوع
٥	مقدمـــــــة .....
٧	التمهيـــــــد .....
١٦	الدراسة المتأملة لسورة الأعـراف .....
١٧	الرسـول ينـذر بـالقرآن الكريـم الكفـار ويبشـر المؤمنـين ..... (الآيات مـن ١ - ١٠)
٣٣	عـداوة إبليـس لآدم عليـه السـلام وذريتـه أزليـة ..... (الآيات مـن (١١ ـ ٢٥)
٦٢	توجيهـات قرآنيـة لبنـى آدم ..... (الآيـات ٢٦ ـ ٣٦)
٩٩	عـذاب الظـالمين المكذبين وثـواب المؤمنين يعملـون الصالحـات .....(الآيات ٣٧ـ٤٣)
١١٤	أصحاب الجنة والنار والأعراف .....(الآيات ٤٤ ـ ٥١)
١٢٨	لله تعالى الخلـق والمعـاد..... (الآيـات ٥٢ ـ ٥٨)
١٤٩	نوع عليه السلام وقومـه ..... (الآيـات ٥٩ ـ ٦٤)
١٦٠	هود عليه السلام وقومه ..... (الآيات ٦٥ ـ ٧٢)
١٧٣	صالح عليه السلام وقومه..... (الآيـات ٧٣ ـ ٧٩)
	لوط عليه السلام وقومه ..... (الآيات ٨٠ ـ ٨٤)
	شعيب عليـه السـلام وقومـه .....(الآيـات ٨٥ ـ ٩٣)
	سنة الله تعالى فى الكـافرين الفاسـقين وفـى المؤمنـين المتقـين ..... (الآيـات ٩٤ ـ ١٠٢)
	بعـث الله تعـالى موسـى بآياتـه التسـع وعاقبـة المفسـدين ..... (الآيات ١٠٣ - ١٣٧)

الصفحة	الموضوع
١٨٥	بنو إسرائيل يسألون موسى الإذن لهم بعبادة الأصنام .....(الآيات ١٣٨-١٤١)
١٩٤	شعيب عليه السلام وقومه .....(الآيات ٨٥ - ٩٣)
١٩٥	سنة الله تعالى في الكافرين الفاسقين وفي المؤمنين المتقين .....(الآيات ٩٤ - ١٠٢)
٢٣٠	بعث الله تعالى موسى بآياته التسع وعاقبة المفسدين .....(الآيات ١٠٣ - ١٣٧)
٣٢٨	بنو إسرائيل يسألون موسى الإذن لهم بعبادة الأصنام .....(الآيات ١٣٨-١٤١)
٣٣٧	مجيء موسى عليه السلام لميقات ربه (الآيات١٤٢ - ١٤٧)
٣٥٤	اتخاذ قوم موسى عليه السلام من بعده العجل إلها ..... (الآيات ١٤٨ - ١٥٤)
٣٦٩	توبة بني إسرائيل بن عبادة العجل ووجوب اتباع الناس جميعا محمدًا ﷺ .....(الآيات ١٥٥ - ١٥٨)
٣٨٧	من بني إسرائيل عادلون وظالمون (الآيات ١٥٩ - ١٦٢)
٤٠٣	بنو إسرائيل المعتدون في السبت يمسخون قردة .....(الآيات ١٦٣ - ١٦٦)
٤١٠	ليبعثن الله على بني إسرائيل من يسومهم سوء العذاب .....(الآيات ١٦٧ - ١٧١)
٤٢٠	يأخذ الله العهد من بني آدم في عالم الذر بإفراده جل وعلا بالعبادة.....(الآيات ١٧٢ - ١٧٤)

الصفحة	الموضوع
٤٢٨	مثل الذى ينسلخ من آيات الله كمثل الكلب والكافرون كالأنعام بل هم أضل .....(الآيات ١٧٥ ـ ١٧٩)
٤٤٢	لله الأسماء الحسنى .....(الآيات ١٨٠ ـــ ١٨٦)
٤٥٤	علم الساعة عند الله تعالى وحده وما ومحمد إلا نذير وبشير .....(الآيات ١٨٧ ، ١٨٨)
٤٦٣	الله تعالى هو الخالق القادر على كل شيء .....(لآيات ١٨٩ ـــ ١٩٨)
٤٨٠	من توجيهات القرآن الكريم الهدى والرحمة للمؤمنين .....(الآيات ١٩٩ ـــ ٢٠٦)
٥٠١	الخاتمة .....
٥٣١	فهرست المصادر والمراجع
٥٣٧	فهرست الموضوعات .....